ردمد : 2961-4074
ISSN: 2961-4074
رقم الإيداع : 1446/3664

سلسلة تقارير أسبار

رقم (14)
نوفمبر 2015

متتالية التسارع في بيئة الاتصال الإلكتروني

إعداد/ لجنة التقارير

ملتقى أسبار
Asbar Council
(نادي تفكير)

مركز أسبار
ASBAR CENTER
31 عامًا Years
منذ 1994 Since

ملتـقى أسبـار
Asbar Council
(نادي تفكير)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقرير يصدر عن ملتقى أسبار

- رئيس الملتقى:

د. فهد العرابي الحارثي

- رئيس الهيئة الإشرافية للملتقى

د. خالد بن دهيش

- الأمين العام
- **د. أماني البريكان**
- التحرير

د. إبراهيم إسماعيل عبده

- التصميم والإخراج:

أ. صفوان يحيى مسعد

تمهيد

يعرض هذا التقرير قضيةً مهمةً تمَّ طرحُها للحوار في ملتقى أسبار خلال شهر نوفمبر 2015م، وناقشها نُخبةٌ متميزةٌ من مُفكِّري المملكة في مختلف المجالات، والذين أثروا الحوار بآرائهم البنَّاءة ومقترحاتهم الهادفة؛ حيث تناولت: " متتالية التسارع في بيئة الاتصال الإلكتروني"

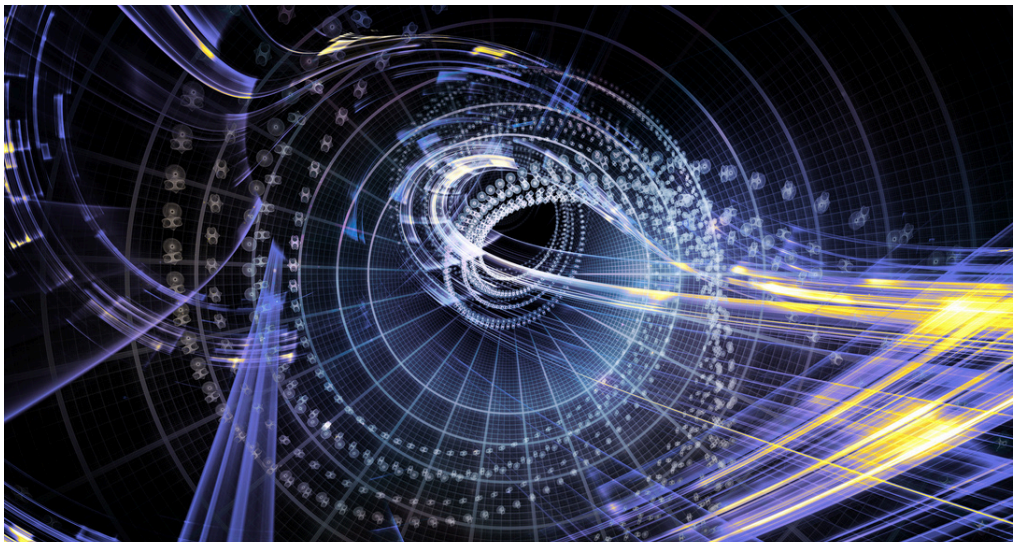

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تمهيد	1
الورقة الرئيسة	3
التعقيبات	9
المداخلات حول القضية	13
وماذا عن إيجابيات البيئة الاتصالية؟	13
مرتكزات الإعلام الجديد	14
مراحل التطوّر التقني	16
التقنيات الحديثة والحرب الخفية	16
هل التقنية أصبحت خيارًا لا يمكن تجاوزه؟	17
الحاجة تولّد الإبداع	18
المشاركون في نقاشات التقرير	20

الورقة الرئيسة: أ. سعيد الزهراني

الجزء الأول: عرض الرؤية:

تفترض هذه الورقة وجود علل ضمنية جراء محورية سمة السرعة في بيئة الاتصال الإلكتروني، تسير جنبًا إلى جنب إزاء الخصائص والميزات الموجبة.. وكأننا أمام حالة شبيهة بعلّة النظرية التي تحمل بذور فنائها بين طياتها.. مستندة في هذا الاتجاه إلى (المقولة) الرئيسة التي تحاول أن تنتجها الورقة ـ ولو في صورة أو تصوّر أوليينِ ـ والمتمثّلة في (متتالية التسارع في بيئة الاتصال الإلكتروني).

افتراضات الورقة:

أن معامل السرعة في بيئة الاتصال الإلكتروني يتمظهر في مسارين رئيسين:

- **المسار الأول:** من حيث تسارع ولادة وظهور الأجناس، أو التطبيقات، أو البرمجيات، أو الصيغ الاتصالية داخل بيئة الاتصال الإلكتروني ككل.. إذ تفترض الورقة أن هناك حالة تسارعية تتمظهر في شكل متتالية مطردة.. حيث تبدأ بظهور وولادة صيغة، أو برمجية، أو تطبيق، أو جنس اتصالي اجتماعي إليكتروني.. ثم ينمو وينتشر.. ثم يأخذ في التلاشي والفناء أو الضمور.. في ظل ظهور وولادة صيغة، أو برمجية، أو تطبيق، أو جنس اتصالي اجتماعي إلكتروني جديد.. يحضر مطورًا أداة جديدة تستجيب لحاجة لم يكن الجنس أو التطبيق السابق يوفّرها.. ثم ينمو وينتشر.. ثم يأخذ هو الآخر نحو التلاشي والفناء أو الضمور.. في ظلّ ولادة جنس، أو تطبيق، أو برمجية أحدث.. يحضر موفرًا أداة جديدة تُلبي ميزة أو خاصية ليست في الأجناس، أو التطبيقات، أو البرمجيات السابقة.. وهكذا تستمر المتتالية.
- **المسار الثاني:** من حيث اعتماد السرعة في الاستخدام، أو التفاعل، أو التعاطي داخل الجنس، أو التطبيق، أو البرمجية، أو الصيغة الاتصالية نفسها كل على حدة.

جذور السرعة والتسارع في بيئة الاتصال:

في اتصال شفاهي مباشر عبّر أستاذ الإعلام الجديد د. فايز الشهري عن رؤية فلسفية تتناول الحالة الاتصالية العامة من خلال العجلة (عجلات العربة أو السيارة ونحوهما) بالقول: العجلة أحد أهم الأدوات التي أدّت إلى تنامي وتعاظم الاتصال والتواصل.. في إشارة بليغة إلى شكل العجلة المستدير وما يتعلق به من إمكانية النقل والانتقال ـ إنسانًا، ومتاعًا، وثقافة، وتواصلًا، واتصالًا، وتفاعلًا ـ بيسر، وسهولة، وسرعة، وتسارع.. مثلما نشاهد اليوم وعلى امتداد التتبع التاريخي لسيرورة وصيرورة الفعل التواصلي الإنساني عبر منتجات الانتقال/الاتصال.

العجيب أن الدلالة المعجمية لمفردة (عجلة) تعني (السرعة)، وفي قاموس الإحصاء والجبر المرتبط بحقل الفيزياء، الذي يعدُّ ميدان السرعة وأبوها الشرعي والروحي بدءًا بالضوء، وانتهاءً بالموجات والاهتزازات؛ تفيد بأنها ـ أي العجلة ـ تعني: مُعدَّل تغيير السُّرعة لجسم متحرّك.... في مفارقة مثيرة تُعيد المنتهى إلى المبتدأ؛ لتعلن أن أصل الاتصال (الزمن)..

الأعجب من هذا حين نعود إلى أصل اللغة العربية لننقّب عن جذور المعاني المرتبطة بالحقل الاتصالي الإلكتروني.. فسنجد كلمة (آلي)، التي تعدّ المنصة الرئيسة التي نشأ على أرضها ما يُعرف بـ (بيئة الاتصال الإلكتروني/الآلي)؛ إذ نجد في معاني تفكيكات (آلي) أن كلمة (الآل) تعني السراب.. وكلمة (ألَّ) أي: برق ولمع، و(الألّ) هو السرعة والإسراع. و(الآلة) تأتي بمعنى الأداة.. مما يجعلنا ننتهي إلى المعاني ذاتها المستخدمة إلكترونيًّا في العصر الحالي.. حيث يُعبّر السراب عن (الواقع وليس الواقع): أي الافتراضي.. والآلي الحاسوب ـ الحاسب الآلي ـ أيًّا كانت مقاييسه، وحجمه، وقدراته.. والذي بدونه لا يمكن أن يوجد الإلكترون الذي يحضر بخاصية السرعة المعبر عنها في معنى الجذر اللغوي بالالتماع وبالبرق.

فحين يقرّر تويتر حجم المشاركة في رسالة نصية حدودها (140) حرفًا.. فيشير هذا إلى تحقيق شرط الوصول بسرعة.. من حيث الفكرة، والانفعال، والإنتاج، والتفاعل، والانتشار.. الأبعد من هذا حين يولد جنس اتصالي اجتماعي كامل معتمدًا على الرمز، والرمز فقط.. وهو ما اعتمده موقع انستقرام النامي والمتنامي بسرعة رهيبة.. في صورة تذهب إلى آخر حدود السرعة من حيث هي تذهب في حقيقة الأمر إلى المبتدأ الأول في عملية الاتصال والتواصل البشري القائم على الرموز والإشارات، أي مرحلة ما قبل الشفاهي.. وكأننا أمام وحدة الزمن القائم على (الومض).

متوالية التسارع في بيئة الاتصال الإلكتروني.. التأثيرات العميقة:

على نحو تنبؤي يحمل صفة التحذير الذي لا يخلو من رعب.. يُطلق عالم المستقبليات الفرنسي الشهير: بول فيريليو.. رؤيته حول ما عبّر عنه بـ (الحادث) في مجرى حديثه عن تحولات الحالة الإنسانية العامة المرتبطة بتكنولوجيا الاتصال الحديثة.. محذرًا من حادث ما يزال كامنًا في الزمن الواقعي ـ وفق تعبيره ـ سينتج عن التسارع المتنامي لدى بيئة الاتصال الإلكتروني.. في حالة أشبه ما تكون بحوادث السيارات والقطارات وكل ما أفرزته خطوط الإنتاج على امتداد التاريخ.

يقول فيريليو: إن التكنولوجيات الجديدة لشبكة الاتصال - سواء تعلّق الأمر بإنترنت أو بأخرى غيرها..- تحمل في طياتها الحادث الخصوصي؛ لكن لا يمكن التعرف على ذلك الحادث لعدم وجود قتلى؛ ولأننا لا نرى سيارات محطمة أو أجسادًا ممزقة.. إن الكشف عن الحادث في أي تكنولوجيا يمكّن من تطوير التقنية وتمدينها.. إن التقنية هي أولًا الحادث..

أما عالم المستقبليات الشهير (الفين تولر)، فيرى أن السرعات الضرورية بلغت درجة من الارتفاع؛ صرنا معها نتذكّر المبدأ القديم (المثل القديم) القائل: الوقت من ذهب.. ولكن هذا المثل يطرأ عليه التحديث من يوم إلى يوم؛ لحساب من يقول اليوم: إن كل دقيقة تمرّ تزيد قيمتُها عن الدقيقة التي سبقتها.

وقد كشفت إحدى الدراسات عن مخاطر تربوية وسلوكية تنتج عن استخدام الشبكة، والتسارع الذي تتمتّع به في انتشارها بين المستخدمين.. إذ سيؤدي إلى خطورة على المستوى الشخصي والمهني.. كذلك مشكلة ضعف التركيز على موضوع معين لفترة كافية؛ ويعني هذا في النهاية ضعف القدرة على الإنجاز في الحياة العملية، أو القدرة على الإنجاز الإبداعي.. حسبما يقوله أستاذ في كلية الطب في جامعة هارفارد الأمريكية ورئيس مركز دراسات يركّز على "الإعلام وصحة الأطفال"، فإن عقول الأطفال التي تنمو مع التكنولوجيا تتكوّن بشكل مختلف يجعلها غير قادرة على التركيز، وذات نشاط عصبي معتاد على الانتقال بسرعة من شيء إلى آخر بلا توقف؛ وهو أمر تُغذّيه التكنولوجيا تدريجيًّا حتى يتحوّل إلى إدمان مسيطر على عقل الإنسان.

إن تطبيقات الإنترنت بمختلف تفريعاتها تقود عبر معامل السرعة والتسارع، الذي هو السمة الأبرز لديها؛ إلى إيجاد مجتمع إنساني غير منظم أو عبثي ومبعثر.. الأبعد من هذا أن غزارة تدفّق المعلومات عبر منصات النشر الإلكتروني بصورة غير منضبطة؛ من شأنها أن توجد حالة من التبلّد المعلوماتي، وهي تلك الحالة التي تكون المعلومة فيها بلا قيمة.. ناهيك عن خطر تسطيح عملية التأمل في الظواهر والأحداث، وقراءتها بتأنٍ، ووعي، وحكمة، وعمق، وقبل هذا بعين ناقدة.

متتالية التسارع الإلكتروني.. المسارات، والمنهجية التنظيرية.. والتخطيطية المستقبلية:

هناك حقيقة تستوقف المتأمل في دروب دراسة الشبكات الاجتماعية، مؤداها أن الواقع يسير علي نحو سريع لم تتواكب مع سرعته النظريات والمنهجيات العلمية التي تنشغل بدراسة الشبكات الاجتماعية..

وفيما يتعلق بأدوات التطبيق المنهجي.. فالنقطة المبدئية في علم الاجتماع الرقمي هي كلية الزمن (المرتبط بالسرعة). وإذا علمنا أن أحد أهم منتجات العصر الرقمي تتمثّل في إمكانية تخزين المعلومات والبيانات التي ينتجها المستخدمون في البيئة الرقمية أو الإلكترونية وتحليلها؛ فإن هذا سينعكس على إنتاج الزمن الحقيقي.. مما يعني في أحد التفسيرات أنه لن تكون هناك حاجة إلى البحث المستهلك للوقت الذي يتضمّن مجتمع العينات اعتمادًا على طرق تقليدية مثلًا، فهي بطيئة وغير دقيقة.

ويتعدى الأمر فيما يتعلق بالتخطيط تحديدًا، إلى إمكانية القول بموت التخطيط الاستراتيجي في بيئة العمل المتعلقة بالاتصال الإلكتروني.. إذ من المعلوم بداهة أن الرؤى الاستراتيجية تتطلب ميدانًا طويل الأجل.. في الحين الذي يتقلّص في المدى الزمني بفعل التسارع، الذي هو سمة بيئة الاتصال الإلكتروني؛ إلى مستوى تكتيكي قريب الأجل، أو في إطار المدى المنظور.

بمعنى أن مدار التخطيط التكتيكي القصير بات مدارًا تخطيطيًّا استراتيجيًّا.. أما التخطيط التكتيكي فقط تراجع إلى مستوى أقل وأضيق يمكن أن يُعبّر عنه بمدار الجدولة الوقتية القصيرة.. وذلك بالنظر إلى مقول الورقة المتمثلة في معامل التسارع، الذي يعدّ سمة الاتصال الإلكتروني.

الجزء الثاني: النتائج والتوصيات:

- تتشكّل على ضوء الطرح أعلاه جملة من النتائج على النحو الآتي:
- (السرعة وفعلها المستمر التسارع)، تتشكّل من حيث الأجناس، أو التطبيقات، أو البرمجيات، أو الصيغ الاتصالية داخل بيئة الاتصال الإلكتروني ككل.. ظهورًا وضمورًا.
- (السرعة وفعلها المستمر التسارع) تتخلّق وتتمظهر في شكل متتالية ضمن بيئة الاتصال الإلكتروني ويُعبّر عنها بمقولة: (متتالية التسارع في بيئة الاتصال الإلكتروني).
- (السرعة وفعلها المستمر التسارع في بيئة الاتصال الإلكتروني)، تحمل بين طياتها انعكاسات سالبة على مستويات عميقة، تأخذ صفة غير مرئية أو محسوسة ظرفيًّا يُعبر عنها بـ (الحادث الكامن).
- (السرعة وفعلها المستمر التسارع في بيئة الاتصال الإلكتروني)، تحمل بين طياتها انعكاسات سالبة على مستويات عميقة تتعلّق بالنشء: إبداعًا، وتركيزًا، وإتقانًا، ونقدًا، ووعيًا تحليليًّا رصينًا وخلّاقًا.
- واقع بيئة الاتصال الإلكتروني يسير علي نحو سريع.. لم تتواكب مع سرعته النظريات والمنهجيات العلمية.
- في ظلّ تمدد بيئة الاتصال الإلكتروني تبرز تبدلات وتحوّلات جوهرية تمسّ الأدوات البحثية المنهجية، مثل مجتمع العينات.. وذلك بالنظر إلى عامل الزمن المرتبط بالسرعة التي من شأنها أن تلغي ذلك المجتمع.
- مدار التخطيط التكتيكي القصير بات مدارًا تخطيطيًّا استراتيجيًّا.. أما التخطيط التكتيكي فقط تراجع إلى مستوى أقل وأضيق يمكن أن يُعبّر عنه بمدار الجدولة الوقتية القصيرة.. وذلك بالنظر إلى مقول الورقة المتمثلة في معامل التسارع الذي يعد سمة الاتصال الإلكتروني.
- تتطابق التفكيكات اللغوية لجذور فعل التسارع واشتقاقاته مع مصطلحات البيئة الاتصالية الإلكترونية الحديثة. والأهم من هذا حين تظهر التطابقات الدلالية فيما بينهما.. في صورة تبرهن على ثراء لغوي مهيب تكتنزه لغتنا العربية الخالدة.
- أخيرًا.. قراءة الانعكاسات السالبة لسمة السرعة والتسارع في بيئة الاتصال الإلكتروني، وتحديدًا في المحورين الذين استهدفتهما الورقة.. لا تعني المناداة بالحدّ منها أو إلغائها.. وإنما محاولة لطرح رؤية ناقدة تستهدف إثارة الأسئلة، واستنهاض الرؤى والأفكار نحو ما يمكن أن يُقدّم في هذا الإطار.

توصيات ظنية
في بيئة الاتصال الإلكتروني

- ضرورة تفعيل المشاريع البحثية الناقدة ومساءلة المعطيات والمسلمات وفق محددات علمية.
- الدفع نحو إنتاج المقولات المتعلقة بالحقل ومحاولة التجريب في هذا المسار.
- أهمية إنتاج نماذج علمية تتناول بيئة الاتصال الإلكتروني لتحقيق أعلى درجات الإفادة الإيجابية.
- أهمية العمل على إعادة قراءة المصطلحات الثابتة ومساءلتها دلاليًّا.
- العمل على إنتاج منهجيات علمية قادرة على استيعاب الظواهر الناشئة وتفسيرها.
- التفكير في تأسيس مختبر علمي يُعنى بدراسات بيئة الاتصال الإلكتروني منهجيًّا وتطبيقيًّا.

ويبقى التأكيد ـ من قبل وبعدُ ـ على أن ما تضمنته هذه الورقة.. ليس إلا رؤية واستفهامات بحثية.. يعتريها القصور.. وربما الانحراف إلى الهاوية.. مثلما تفعل عجلات السيارات والمركبات بقائديها كثيرًا.

التعقيبات

التعقيب الأول: د. خالد الرديعان:

بداية لابد من التسليم بأننا فعلًا نعيش "صدمة المستقبل" التي تحدّث عنها الفين توفلر قبل خمسين عامًا في كتابه ذائع الصيت.. فالتقدم الذي حدث ويحدث في وسائل الاتصال والتواصل مذهل وسريع بمعنى الكلمة؛ بل إن الاكتشافات في هذا الباب تحديدًا؛ هي الأكثر والأهم مقارنة بالاكتشافات الأخرى، وليس الأمر كذلك؛ بل إن التقدم في المجالات الأخرى ينعكس على بيئة الاتصال والتواصل وتقنياته. وهذا الأمر مخيف على المستوى الإنساني والاجتماعي؛ بحكم دور التقنية وتأثيراتها التي تسلب الإنسان جزءًا مهمًّا من إنسانيته وكينونته، فيتم اختزال البشر ليصبحوا مجرد "كائنات رقمية " في ظلّ "ثورة الديجتال". وقد أصبحت الثورة الرقمية عنصرًا مهمًّا في حياتنا، ومن دونها لا يمكن تصوّر الوضع. وتكمن المشكلة في السرعة التي علينا اتباعها للأخذ بكل جديد؛ الأمر الذي جعلنا أشبه ما نكون بأدوات تخزين أو آلات.. وهذا هو مبعث خوفي.

لا أودّ أن يكون كلامي انعكاسًا لما يعتمل في نفسي من شكوك ومخاوف؛ لكني أزعم أن هذه المخاوف عامة، وأنها تشغل بال الجميع.. لست سعيدًا بالطبع بما يجري حولي وما أراه؛ رغم الإيجابيات الكثيرة التي نشاهدها ونلمسها كل يوم على المستوى التقني. وسبب تشاؤمي أن هذه التقنية ليست وليدة تقدمنا بقدر ما هو تقدّم الآخرين الذين ابتكروها بوصفها نتاجًا طبيعيًّا لتقدمهم في الحقول الأخرى؛ في حين أننا أصبحنا مستهلكين لمنتجاتهم دون فرز، مع سوء استخدام في الغالب؛ مما كرّس لدينا مشكلة الهوة الثقافية (Cultural lag)، التي تحدّث عنها بعض علماء الاجتماع (أوجبرن ونيمكوف)، التي يشيرون بها إلى التقدم المادي والتقني الذي لا يصاحبه تقدّم فكري واجتماعي؛ وهو ما يُعدّ من سمات الدول النامية... وفخّ "الهوة الثقافية " تحديدًا هو ما يقلقني أكثر عندما أرى استخدام تقنية الاتصال والتواصل، وعدم قدرتنا على مواكبة هذه التقنية واستيعابها على الصعيد الاجتماعي والفكري. ومشكلة هذه الهوة أنها باتساع؛ ففي حين أن تقنية التواصل تزيد من التقارب بين البشر بفعل التطبيقات الجديدة، وهو ما نراه في وسائل التواصل الاجتماعي بصورة جلية؛ لكننا كلما اقتربنا من بعض؛ زاد التنافر فيما بيننا، وزادت مشكلاتنا التي أصبحنا أقل قدرة في السيطرة عليها...هل يمكن مثلًا القول: إننا – بوصفنا مستهلكين- سعداء أكثر من ذي قبل بفعل تقنية الاتصال والتواصل؟ هذا سؤال معلق أتركه لمن يود الإجابة عنه. نحن نعلم أن هدف التقنية في النهاية تسهيل إنجاز المهمات الإنسانية، فهل تحقّق ذلك فعلًا في مجتمعاتنا التقليدية والمحافظة؟

هذا سؤال آخر أطرحه. نشاهد على سبيل المثال، كثرة التطبيقات والبرامج الاتصالية، وهي بالفعل متسارعة، وكل يوم يفاجئنا السوق بما هو جديد؛ لدرجة أنه أصبح لدينا تخمة تطبيقات لم نعد قادرين على ملاحقتها وهضمها. بل إننا صرنا نلهث أكثر وأكثر خلف كل ما هو جديد؛ حتى ولو لم يكن مفيدًا لنا.. أصبحنا بفعل هذا اللهاث الدائم أكثر استهلاكًا وأقل إنتاجًا، وهي مفارقة.. هناك أمر إيجابي يلزم عدم إغفاله، وهو أن التقنية والمخترعات عمومًا تُحدث تغيرات اجتماعية بنيوية مهمة، فهل ما حدث في مجتمعاتنا من تغيرات أمور إيجابية، أم أن السلبيات هي الطاغية؟ هذا سؤال ثالث مهم.

ومن ناحية أخرى، يمكن التطرّق إلى نقطة مهمة تتعلق بمنهجية البحث الاجتماعي والجدل بين الباحثين بخصوص عينات البحث الإلكترونية، ومدى التعويل عليها عوضًا عن العينات التقليدية التي تُسحب من الجمهور مباشرة. ففي العينات الإلكترونية يتم التعامل مع الكيبورد ومن خلفه؛ بصرف النظر عن أماكنهم وخصائصهم الديموغرافية. ويثور الجدل، وهو ما طرحناه في هذا المنتدى قبل فترة، حول ما إذا كانت العينة الإلكترونية ممثلة لمجتمع البحث أم لا.. هناك عدم اتفاق في المسألة.

أميل إلى أنها عينة ممثلة -على الأقل في مجتمعنا- بحكم اتساع نطاق المستخدمين للتقنية الإلكترونية، وزيادة أعدادهم بصورة مذهلة، خاصة أجهزة الجوال الذكية؛ مما يعني أن جمهورنا متجانس في توجهاته إلى حدٍّ كبير؛ ومن ثمَّ إمكانية التعويل على نتائج العينات الإلكترونية والمجتمع الافتراضي. وقد لا يكون هذا الموضوع وثيق الصلة بموضوع الورقة الرئيسة...؛ لكن الورقة لفتت انتباهي إلى أن تقنيات التواصل السريع قد جعلتنا أكثر تجانسًا على المستوى الفكري؛ أي أننا نتجه لنصبح مخلوقات متشابهة دون أن ندري، وبصورة تدريجية؛ ومن ثمَّ لن يكون لنا أي خصوصية بوصفنا بشرًا.. سنصبح مثل البضائع التي ينتجها خط تجميع... سنكون نسخة من بعض، وسنتطابق في كثير من خصائصنا بفعل التقنية؛ ومن ثمَّ نفقد إنسانيتنا... أليس هذا الأمر مقلقًا ومخيفًا؟؟!

التعقيب الثاني: د. مساعد المحيا:

نعيش اليوم في بيئة اتصالية اجتماعية افتراضية تمنحنا الكثير من الوهم، والقليل من الحقيقة .. وتعطينا الكثير من الإشباعات؛ لكنها تسلب منا الكثير من أعز ما نفتقده: الصحة، والوقت ... والسرعة والآنية في بيئة الاتصال وتطبيقاتها؛ جعلت الجمهور يفقد التركيز؛ ولذا أخال مجتمعاتنا مقبلة على هلاميات النتائج، مع ضياع الصحة وانتشار القلق والتوتر ...حتى لدى النُّخب، والمفكرين، والعلماء.

مع أن أ. سعيد ركّز في ورقته على تويتر والانستقرام مثالين مهمين في عالم التسارع الاتصالي؛ لكن جيل الشباب اليوم يعيش مع السناب شات على نحو أوسع، وفي سرعة مذهلة .. وهي حال جعلت كل جمهور هذا التطبيق يشعر بأنه قد أضحى محطة تلفزيون يومية تقدم موادها "الفيديوية" للجمهور، وتفرض عليه أن يشاهدها في اليوم نفسه؛ وإلا فلن يتمكّن من مشاهدتها لاحقًا. ومن لا يُتاح له مشاهدة ذلك؛ فإنها ستصير مواد قد انتهت. وهذه البيئة الاتصالية فرضت إلزامًا غير موثق ولا مكتوب بعملية المشاهدة؛ برغم تفاهة المادة المقدمة في أكثر الأحوال أو تواضعها؛ الأمر الذي جعل الجمهور يمضي الكثير من الوقت في ممارسة مشاهدة قد تبدو ممتعة تمامًا كتلفزيون الواقع، في الوقت الذي تستغرق وقته دون أن يشعر..

لو قام باحث بإجراء دراسة حالة لعدد من مستخدمي هذه التطبيقات؛ لربما اكتشف أنها تشمل كل أوقات الاستيقاظ، بما فيها أوقات الطعام، والترفيه، والرياضة ...فكثيرون لا ينفكّ تواصلهم عبر هذه التطبيقات خلال تلك الأوقات.. إننا كنا نتخوّف من أن مجتمعاتنا التي كانت تسعد بالاجتماعات العائلية، والأسرية، والمجتمعية التي تقوم على لقاء بعضنا بمن يحب، وجلوسه ومكوثه معه أوقاتًا طويلة؛ ستفقد روح هذه الاجتماعات؛ لكننا وخلال فترة وجيزة أصبحنا نعيش في حالة من الفردانية التي أوجدت بيئة اتصالية افتراضية توهمنا بجماليتها؛ لكننا أصبحنا نفقد كثيرًا من عوامل الأمن النفسي والاستقرار الاجتماعي؛ إلى حالة من الأنانية المسيطرة التي تتوغّل كثيرًا لتنتزع أجمل ما لدينا من حب للآخرين وتعاطف معهم؛ إلى بناء حالة من النرجسية الممزوجة بإيهام النفس بفعل اجتماعي متطور ... لم يعد الكثيرون يحتفون بلقاء والديهم، وزوجاتهم، وأبنائهم، وإخوانهم وهم الأهم؛ وأصبحنا نتوهم أننا نبني علاقة اجتماعية أوسع وأكبر، والحقيقة أننا أصبحنا نحبُّ أنفسنا أكثر. وبدلًا من حصولنا على حبٍّ من حولنا، مع جفاف بعض عاطفته؛ أصبحنا نبحث عمن يمنحنا التميّز، والشكر، والإعجاب؛ ولذا نوغل كثيرًا باستخدام هذه التطبيقات. وأخال أن منتجيها يدورون مع الأنا كثيرًا ...

إن هذه التطبيقات -برغم أنها أصبحت تُسمّى تطبيقات الشبكات الاجتماعية، أو منصات التواصل الاجتماعي- لكننا فيما يبدو أصبحنا نبحث عن كل ما يجعلنا محل الإعجاب والتقدير بصورة أوسع وأكبر ... وهذا التسارع جعلنا مع هذه البيئة الاتصالية نحتفي كثيرًا بتطبيقات تأتي ثم ترحل؛ ليحلّ محلها تطبيق أشد فتكًا في أوقاتنا وأعمارنا، وأكثر فداحة في الخسارة .. نحن نخسر أوقاتنا، ونخسر صحتنا، ونخسر علاقاتنا الأهم في حياتنا الاجتماعية؛ والثمن - في تقديري- بخس؛ وربما لن ندرك ذلك إلا بعد فوات الأوان .. وذلك كله لا يعني بحال أن هذه البيئة الاتصالية المتسارعة والجديدة قدّمت وما تزال تقدم لنا الكثير من الإيجابيات والمنافع المجتمعية والشخصية، وهو أمر لا يمكن إنكاره أو التغاضي عنه.

المداخلات حول القضية:

وماذا عن إيجابيات البيئة الاتصالية؟

لاحظ أ.د. عبدالرحمن العناد بشكل عام أن ورقة أ. سعيد الزهراني، وتعقيب د. خالد الرديعان، وكذلك د. مساعد المحيا عليها ركّزت على الجوانب السلبية والمخاوف من هذا التسارع، ولم يجد - برأيه - تلميحًا لإيجابيات هذه البيئة الاتصالية العالمية التي ألغت المسافات، وساهمت في سرعة وكثافة تبادل الأفكار، والمعلومات، والأخبار، والآراء دون قيود (حكومية)، ووفّرت لنا خدمات إلكترونية متعددة نقوم بها من خلال أجهزة صغيرة نشتري، ونبيع، ونحجز، ونتعلّم، ونتعامل مع الحكومة الإلكترونية؛ بل ونطلب وجبة من مطعم، أو سيارة توصيل، أو تاكسي، وغير ذلك كثير ... وهذه الفوائد الكبيرة تراكمت مع تطوّر سرعة الإنترنت وتطور التطبيقات، وكل المخاوف من التأثيرات السلبية لأي تقنية ستزول بعد انتهاء فترة الانبهار بالوسيلة، وسيعمد الأفراد إلى ترشيد استخدامهم لها، أو التحول إلى وسائل أحدث.... كانت تخوفات مشابهة منتشرة أيام ذيوع الفيديو ومحلات تأجير أفلامه، ثم ظهرت تخوفات مع بدء البث التلفزيوني الفضائي، فالإنترنت وبدايتها، والساحات ... وهكذا ... واختتم أ.د. عبدالرحمن العناد مداخلته بقوله: استفيدوا من التطورات المتلاحقة وتطبيقات الخدمات المتعددة، وأسالوا أطفالكم المساعدة في استخدامها. .. فليس عيبًا أن يطلب الأب مساعدة من طفل لم يتجاوز عشر سنوات.

أما أ. ليلى الشهراني فقالت في مداخلتها: عندما أنظر اليوم إلى كل هذه البرامج الجديدة، تعود بي الذاكرة إلى بداية دخول النت للسعودية، وقتها لم يكن هناك إلا المنتديات، وغرف الدردشة، والبالتوك، والمسينجر، ثم دخلت المدونات الشخصية، وتبعها الفيس بوك، ووصلنا اليوم إلى تويتر، والانستقرام، وسناب شات، وبرامج لا نعرف عنها شيئًا؛ لجهل بعضنا بها. نعم، سرقت من أوقاتنا الكثير، وبالمقابل أفادتنا كثيرًا. قد يكون العالم فيها افتراضيًّا؛ ولكنه حقيقي. بشر من كل البلدان، ومن جميع الثقافات والمستويات الفكرية، والعلمية، والاجتماعية، تتعرف عليهم عن قُرب بعد أن كان الإنسان لا يعرف إلا حدود قريته أو مدينته ... عجلة العولمة التكنولوجية لا تتوقف، إنها في حالة دوران مستمر، والخلل ليس فيها؛ بل فيمن يتعامل معها؛ فكل ميسر لما خُلق له. وليس بالضرورة أن يكون لي في كل برنامج حساب، نحن من يُحدّد ما يناسبنا من دون أن يغرقنا، وهذا الحال ينطبق على حياة أطفالنا.

بالنسبة للعلماء والباحثين والمفكرين هدف الاستقطاب (التجنيسي) إن صح القول تأتي الحريات وضمانها في المقدمة : الحرية الفكرية والعلمية والدعم المادي والمؤسساتي إضافة إلى نوعية الحياة وسلاستها وتحررها من التعقيدات المرهقة .. وهناك نقطة مهمة يمكن إضافتها وهي أن مشروع التجنيس في النهاية يجب أن يكون هدفه إيجاد مواطن سعودي ... وليس مواطن مجنس ...فالجنسية هي هوية يجب أن يستشعر الفرد قيمتها أما إن كانت ستبقي قضية مواطن أصلي ومواطن تقليد فهذه قضية ستُفشل العملية برمتها ... ويبدو أن ذلك فعلًا يحتاج استراتيجية كالتي أشار إليها اللواء د. سعد الشهراني.

اللغة العربية والتجنيس:

مرتكزات الإعلام الجديد:

أوضح د. فايز الشهري في مداخلته أن الإعلام الجديد في أدواته ومحتواه ظهر وانتشر وفق مرتكزين أساسيين: الأول: اندماج الوسائل، والثاني: انتقال التحكم إلى الجمهور. ومن هنا نحلل الظاهرة كما صورها أ. سعيد. في المرتكز الأول كانت قضية السرعة والتسارع. والسرعة تشمل سرعة إنتاج المعلومة، وسرعة توزيعها، وسرعة انتشارها. ومن جهة أخرى، وهذا هو الأهم، سرعة تطور الوسيط الناقل عبر الإنترنت والهواتف الذكية على وجه الخصوص.

وفي عامل التسارع والسرعة كانت الوسائل التقليدية في السابق بيد الكبار (في السن)، سواء من حيث الإدارة أو العمل الإعلامي، وطبعوا هذه الوسائل برتابة الكبار، وأصبحت هذه الرتابة سمة الإعلام التقليدي. ومن جهة أخرى، ظهر الإعلام الجديد على يد الشباب، وطوّر الشباب معظم أدواته؛ وهم اليوم سادة المشهد الإلكتروني. إذًا فهناك وسائط تسمح بالسرعة وثقافة تُعزّز للسرعة، وجيل جديد من الشباب أبرز خصائصه السرعة والحيوية؛ فزاد من تسارع المحتوى وتسارع الابتكارات، ومعها تسارع الحكم واستباق النتيجة. هل الإعلام الجديد بوصفه تراثًا إنسانيًّا سيحسب بعد الفورة بموازين الرشد، أم سيكون بعد أن يصبح هذا المحتوى الذي نتقاذفه في عصر قادم محل تندّر وعجب.....؟ الحكم للأجيال القادمة.

وأشار د. حمزة بيت المال في مداخلته حول مسار تطوّر تقنيات الاتصال، إلى أن التقنية قد سارت بين مجالين: الأول: الاستجابة إلى الحاجة البشرية للتواصل مع الآخرين. والثاني: تحقيق أمنيات أن حاجة الإنسان للتواصل مع الآخرين قائمة منذ الأزل؛ حيث جاءت الوسائل ووسّعت وطوّرت هذه الحاجة، ومن أبرزها البريد، ثم الهاتف.....إلخ ... والأمنيات أن تكون سريعة بالصوت، ثم الصورة....إلخ؛ لذلك فإن العاملين في مجال الاختراعات يستجيبون إلى الحاجة والأمنيات بالطبع؛ بسبب السرعة وقدرة التخزين... أصبحنا نعيش حالة من التخمة المعلوماتية - والقول هنا معلومات وليس معارف - إن التحدي تحويل المعلومات إلى معارف، وهذه هي التي يدخل الجهد البشري في إنتاجها .. و يرى علماء الاتصال أن ما تمر به البشرية ثورة ستهدأ بعد فترة المراهقة، ويُعاد توزيع الأدوار بين التقنيات المتعددة، بما فيها وسائل التواصل الاجتماعي .. وهذا لا يعني العودة إلى الماضي؛ لكن هو واقع جديد يتم التعود عليه بانتظار ثورة أخرى تغيّر الواقع.

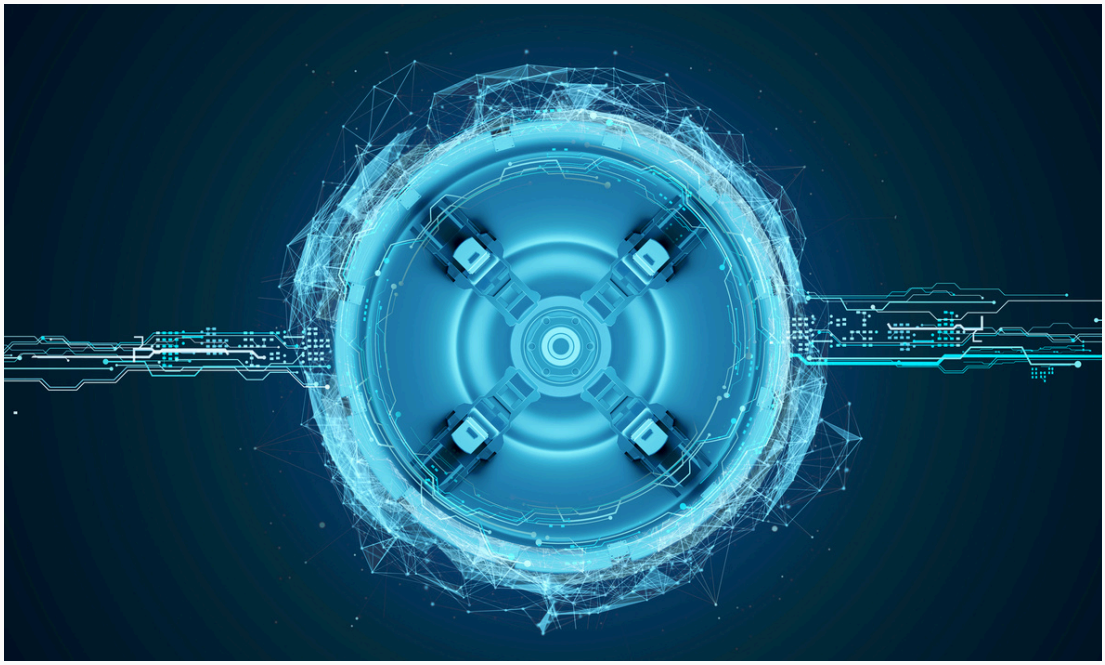

مراحل التطور التقني:

من جانبه أوضح د. إبراهيم البعيز أن التقنية بأشكالها المختلفة قد مرّت بثلاث مراحل:

علينا أن نُعيد النظر في مقولة (الحاجة أم الاختراع) ... ما نلاحظه أن التقنية لا تأتي لتلبية حاجة؛ بل العكس أنها تأتي وبعد ذلك نبدأ بالبحث عن كيفية الاستفادة منها، ونكتشف أنها تجاوزت بمسافات بعيدة ما كنّا نتوقعه من تطبيق واستفادة محتملة لها ... فهذه التقنية تسير بسرعة أكبر بكثير مما يمكن أن نتخيله من فوائد لها.

التقنيات الحديثة والحرب الخفية:

ذكرت أ. فايزة الحربي في مداخلتها حول ورقة أ. سعيد الزهراني: متتالية التسارع في بيئة الاتصال الإلكتروني؛ أن الإنترنت وخدماته وتطبيقاته لم يعد مرحلة أو قضية؛ فلقد أصبحنا في حرب خفية مع هذه التطبيقات نُحلّق في إيجابياتها، ونتهاوى في سلبياتها ... السرعة التي وفرتها خدمات الاتصال الإلكتروني لم تكن خاطرة تراودنا، فكيف لنا بحكومة إلكترونية، وتسوّق إلكتروني، وإجراء المعاملات التي كانت ترهقنا في اصطفاف بالطابور ومشاوير ومضيعة أوقاتنا

الآن بضغطة زر والعالم كله بين أطراف أصابعك، إضافة إلى خدمات تجانس الأفكار والخبرات بين المهتمين في مجال متخصص أو عام، فلا تتكلف بإيصال أفكارك أو خبراتك أو بالوصول إلى الآخرين وأفكارهم ... تقنيات اختصرت علينا دهورًا وعصورًا. كنا نخوض السفر والترحال للقاء عالم أو شيخ، والآن نحتار بين هؤلاء العلماء، فلا تجد وقتًا لسماع محاضراتهم، أو قراءة نصائحهم أو كتبهم ... عالم متسارع بقدر ما تحاول اللاحق به لا تستطيع... لذلك فمن المهم التركيز على حاجتنا منه، وعدم الضياع في متاهاته، وذلك أمر بالغ الأهمية. ويفترض بنا وضع منهج دراسي لذلك، مع تعميق وعي الآباء والمربين بالتركيز على نشر ثقافة التعامل الجيد مع قنوات الاتصال الإلكترونية... أما التسارع الإلكتروني من جانب سلبياته، فقد أُثري الموضوع بدرر وأفكار تستحث وتتطلّب الحماية والحدّ من هذا الوحش أو اللص الذي اخترق بيوتنا، وعقولنا، وأبنائنا؛ وللأسف فقد أثر في قيمنا وعاداتنا الجميلة، وقد وصل إلى العقيدة ويزاحم فيها؛ فنشر الكثير من الفكر ضد الدين؛ ليزعزعه ووصل إلى الإلحاد عند بعض أبناء المسلمين، للأسف... نريد أن يُستفاد من هذه التقنيات مع حماية قوية ضدّ اختراقاته وسلبياته.

هل التقنية أصبحت خيارًا لا يمكن تجاوزه؟

تطرق اللواء د. سعد الشهراني في مداخلته على ورقة أ. سعيد الزهراني إلى أنه وبالرغم من سلبيات هذه التقنيات؛ لكنها لم تعد خيارًا يمكن تجاوزه إلى غيره؛ بل هي قطار تستقلّه الإنسانية إلى أن يرث الله الأرض و من عليها... نعم، نحن لم نُسهم فيها، ولا نستطيع التحكم فيها (إلا بدرجة محدودة جدًّا، و قد لا ننجح)؛ لكنها قدر للإنسانية جمعاء، والغريب أننا من أكثر شعوب العالم استهلاكًا واستخدامًا لها، والسبب معروف وواضح: الوفرة المادية في هذه المرحلة... إيجابيات تقنيات الاتصالات والمعلومات لا تُعدّ ولا تُحصى، وسلبياتها كثيرة ... وربما أن أهم سلبياتها على الفرد انغماسه فيها إلى درجة أنه يصدّق ويستخدم كل ما فيها وينشره على فرضية أنه صحيح ومفيد. وثانيًا: أصبح الإنسان يكرّس جلّ وقته لها، وفي أحيان كثيرة على حساب علاقاته، وقيمه الاجتماعية، ومصالحه، وصحته، وسلامته العقلية والنفسية والمادية (استخدامها في السيارة مثلًا) ... ومن أهم إيجابيات هذه التقنية أنها مكّنت المهمشين والمواطنين عمومًا من الإبلاغ عن مشكلاتهم، وقصور المؤسسات وتقصيرها، والموظفين العاملين؛ بل وعن آرائهم في القضايا الوطنية والاجتماعية، وأصبح كل مواطن مراقبًا عامًا إذا أراد.

وأضاف اللواء د. سعد الشهراني أن الإعلام الاجتماعي مثل الفيضان الذي يغمر كل شيء تقريبًا، وسيستمر منهمرًا من سماء العلم؛ و لن تبلعه الأرض ... والسؤال: كيف سيكون إنسان المستقبل المنغمس و الغارق في هذا الفيضان حتى آخر عاطفة، و آخر قيمة إنسانية، و آخر ذرة عقل؟! هل سيكون إنسانًا ماديًّا بلا روح أو عاطفة، أو بلا خوف أو خجل، أو بلا إحساس! وهذه التقنيات والوسائط المتطورة بتسارع عجيب لها الخصائص الآتية:

وليس هناك من طريق عودة ولا من خيار إلا ركوب القطار التقني، الذي قد لا نعلم إلى أين يوصلنا ...هناك إيجابيات لا حدود لها، وسلبيات يمكن التقليل منها؛ ولكن لا يمكن تفاديها.

الحاجة تولّد الإبداع:

قال أ. رائد عبدالله الحمود في مداخلته: أودّ أن أضمّ صوتي لأصحاب الرأي القائل بأن (الحاجة تولّد الإبداع). ففي قراءتي المتواضعة للتاريخ, ظهر لي أن أغلب الإنجازات البشرية الكبيرة أتت من الحاجات الفردية أو الجماعية. أو أنها جاءت من رغبات شديدة لأغراض كثيرة أنزلتها منزلة الحاجة.

والإنجازات الكبيرة في التاريخ يصاحبها عادة مجازفات كبيرة في تمويلها، لا تقبلها الشركات التي تبحث عن الربح القريب, فلو عدنا لرأينا أن جلّ هذه المشاريع الكبيرة مُوّلت من قِبل حكومات... التعليم مثلًا.. من أعظم إنجازات البشر. ومؤسساته من أكبر المؤسسات الخدمية في العالم. ولعظمه وكبر مسؤوليته بقي من أهم مسؤوليات الحكومات. وإذا دخلت فيه شركات القطاع الخاص بدا نوعيًّا ونفعيًّا أيضًا... وفي نظري, أن النعمة التي أنعمها الله علينا في بلادنا، وبخاصة حجم الإنفاق على التعليم، لا يتوافق مع مخرجاته؛ بل لا يتوافق مع واقع تشغيله... وللأسف، لم يبدو المنتج بالشكل المطلوب, فالأمن والمال بدون تفعيل رشيد أنشأ جيلًا (لا يكترث كثير من أفراده)... في أغلب دول العالم التعليم مكلف جدًّا؛ لكن الفرد يدفعها ليتعلم، وليعمل، وليعيش... وهو يعرف أنه من غير التعليم الجيد؛ لن يتمكّن من أن يعيش كريمًا... نحن أيضًا نكافئ المتعلم الذي لا يتعلم. فلا نكون صارمين في تطبيق حق المجتمع على أبنائه؛ ومن هنا بدا لي أن الاحساس بالمسؤولية الإنسانية الذاتية، والوطنية، والدينية غائبة عند بعض الشباب اليوم، وهو أمر مخيف جدًّا على مستقبلنا، إذا كان المؤثرون فيه سيكونون من بين من نراهم اليوم في مقاعد التعليم...لقد أنجزنا في البداية بإنشاء مؤسسات ضخمة للتعليم، وأنجزنا بتخصيص مبالغ كبيرة لتطويره، فيجب أن ننجز أيضًا في تفعيل كل ذلك بفعل رشيد، أو سيذهب الجهد والمال سُدى.

وعلق أ. سعيد الزهراني على مجمل المداخلات و التعقيبات السابقة حول ورقته بقوله: إنه بالعودة لعنوان الورقة: متتالية التسارع في بيئة الاتصال الإلكتروني.. بوصفه (مقولة) تحاول إنتاجها الورقة .. وفق فرضيتي الفكرة: سرعة خارجية تتعلق بالتطبيقات ظهورًا وضمورًا.. وسرعة داخلية تتعلق باستخدام التطبيق نفسه والتعاطي معه.. وبالتالي تتبع الانعكاسات السالبة لهذا الحالة التسارعية.. مع التسليم بجل إيجابيات بيئة الاتصال الإلكتروني التي ولّدها معامل السرعة والتسارع.

المشاركون

- د. إبراهيم البعيز.
- السفير أ. أسامة نقلي.
- د. الجازي الشبيكي.
- م. حسام بحيري.
- د. حسين الحكمي.
- د. حميد المزروع.
- د. حمزة بيت المال.
- د. خالد الرديعان.
- م. خالد العثمان.
- أ. خالد الوابل.
- د. خالد بن دهيش.
- أ. خالد الحارثي.
- أ. رائد عبدالله الحمود.
- د. زياد الدريس.
- اللواء د. سعد الشهراني.
- أ. سعيد الزهراني.
- أ. سمير خميس.
- د. طلحة فدعق.
- د. عائشة حجازي.
- أ.د. عبدالرحمن العناد.
- د. عبدالسلام الوايل.
- أ. عبدالله آل حامد.
- د. عبداللطيف العوين.
- د. عبدالله بن ناصر الحمود.
- د. عبدالله بن صالح الحمود.
- أ. عبدالله الضويحي.
- أ. عبدالله بن كدسه.
- د. علي الحكمي
- أ. علياء البازعي.
- أ. فاطمة الشريف.
- د. فايز الشهري.
- أ. فايزة الحربي.
- د. فهد الحارثي.
- أ. كوثر الأربش.
- أ. ليلى الشهراني.
- أ. محمد المطيري.
- د. مساعد المحيا.
- د. مسفر السلولي.
- أ. مسفر الموسى.
- أ. مطشر المرشد.
- أ. مها عقيل.
- د. منصور المطيري.
- أ. ندى القنيبط
- د.م. نصر الصحاف.
- أ. هادي العلياني.
- أ. هيا السهلي.
- أ. يحيي الأمير.
- أ. يوسف الكويليت.

*ترتيب الأسماء حسب الحروف الأبجدية

ملتـقى أسبـار
Asbar Council
(نادي تفكير)

تأسس الملتقى في 28 يونيو 2015م

@MultaqaAsbar

@Multaqa_Asbar

https://cutt.us/U0nnC

00966114624229

www.asbar.com